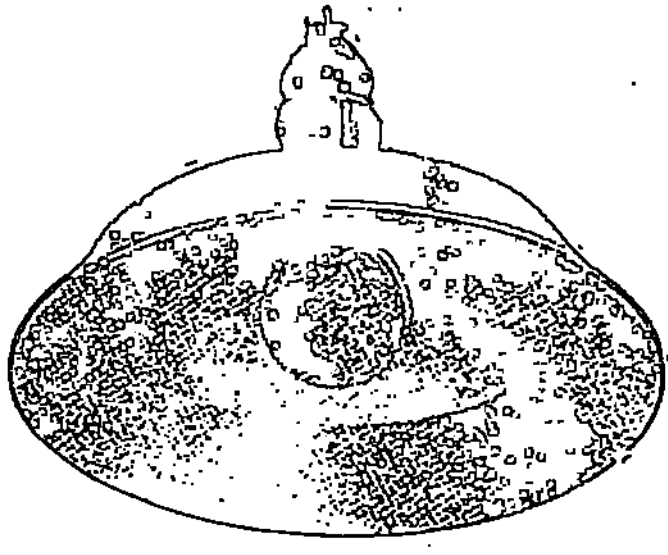

رسم ٤ — عاكس لانارة المعلات الصناعية

وقفة باطلال بابل

بقلم حضرة الاب ا . س . مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٣

بعد انقراض سلالة حمورابي ، نهضت عائلة اصلها من نواحي مصب الفرات ، وظفرت بالملك . وقام منها ١٢ ملكاً ، اولهم ايلميلو ، وآخرهم عكشيل . وكانت مدة حكمهم من ٢٠٩٩ الى ١٧١٤ . ولم تفدنا الآثار بشيء عن اخبارهم . الا انهُ في زمن الملكين الاخيرين ، حدثت قلاقل وفتن في بابل ، مكنت قبيلة الكوسيين من الاستيلاء على المملكة ، فجلس زعيمها كنديش في بابل نحو سنة ١٧١٤

وأصل هؤلاء الاقوام من جبل زكرا على حدود مادي ، وكانوا حتى ذلك الاوان مستقلين لما كانت عليه بلادهم من المناعة ، وكان منهم فريق قد بقوا على حال البربرة ، ومنهم فريق متحضرون متمدنون . والظاهر انهم في القرن الثامن عشر ق.م. ابان القلاقل والاضطرابات ، قد انقضوا على كلدية ، وأسسوا مملكة عرفت باسم «كردونياش» . ثم مدوا سلطتهم الى بابل ومازجوا سكانها تدريجاً ، وقد حكموا مدة طويلة في بابل ، الا انهم لم يقم بينهم ملك حازم ، يكتسب شهرة بافتتاحه البلاد او باتيانه اعمالاً باهرة ، مثل شركينا الاول ، ونارمسين ، وحمورابي . لا بل انهم ، لتثاقلهم عن واجباتهم وانهماكهم في اللذات ، قد صاروا سبباً لانحطاط المملكة . وفي ايامهم انتهز الاشوريون الفرصة الملائمة ، فاستقلوا عن بابل . وكانت مدة الكوسيين ٥٠٠ سنة . وقام في خلالها ٣٦ ملكاً . وعقبتهم الدولة الباشية البابلية

ومن اشهر ملوك هذه الدولة ، نبوكدنصر الاول . وكان العيلاميون قد حاربوا البابليين فعبروا دجلة ، ونهبوا تمثال بعل . ومغبة الحرب كانت انهم استولوا على منطقة نامار ، فانتزعوها من بابل . فحينئذ حمل نبوكدنصر على نامار في فصل القيظ ، فأثر الحر والعطش في جيشه . لكنه مع ذلك استولى عليها وتوجه بعساكره الى شوشن . فانتشب القتال بين الفريقين ، وكان عنيفاً . فدارت الدوائر على العيلاميين ، وفاز البابليون بالظفر . فاضطر اهل عيلام ان يعيدوا الى اهل بابل بلد نامار ، ويرجعوا تمثال بعل . فانقلب نبوكدنصر الى مقره ظافراً منصوراً

وفي زمن مردوخ نادينحا ، اي سنة ١١٠٥ ، اغار الاشوريون على بابل برئاسة تغلاتبلاسر الاول الشهير ، وشبت نار الحرب ، عند الزاب الاصغر ، ولم تظهر النصرة لاحد . الا ان تغلاتبلاسر استأنف القتال ، في السنة التابعة فظفر بالبابليين ، وفتح دور كوريكلزو ، وسيارا ، واوبي ، وبابل ، واتخذ لقب ملك بابل . وصارت كلدية واشورية مملكة واحدة . لكن هذه الحال لم تدم على هذا المنوال سوى سنتين . فان مردوخ دينحا قام على الاشوريين وطردهم من بلاده ، واستولى على مدينة هيكلا ، واخذ تماثيل الهتها ، وعاد

بها الى بابل حيث بقيت مُقفلًا عليها في هيكل بَيل

بعد الدولة الباشية البابلية المنقرضة بسبب الفتن ، قامت الدولة البابلية . لكنها لم تستمرّ طويلًا لتلك الاسباب عينها . وكانت كلما ضعفت قوة اولي الامور في بابل اشتدّت شوكة ملوك أشور واستولوا عليها. الّا ان تغلاتبلاسر، حين ملك على بابل ، ترك لها الحرية لتتمتع بولاياتها ، وعوائدها ، وسنتها ، لكون بابل كانت مقدسة عند البابليين والاشوريين معاً . فلذا احب اهل بابل تغلاتبلاسر ، واقتدى به خلفاؤه

وفي عدّة قرون ، بقيت بابل ، دون مُلك وسلطان خاص ، خاضعة للملوك اشور . وذلك الى نحو القرن السابع ق.م. فحينئذٍ نهضت من رقادها ، على يد نبوكدنصّر الثاني ، ابن نبوپلصّر . وكانت شوكة الارميين الرُحّل ، والاشكوزيين ، قد قويت في ذاك الحين . واذ كان نبوپلصّر قد شاخ ، ارفد ابنه نبوكدنصّر ، فاخضع تلك القبائل . وأما كانت سنة ٦٠٤ ، وكان المصريون يتوقّعون الفرصة للتحفّز ، بالقرب من مدينة كركيش ، وكان جيشهم جرّارًا ، حمل عليهم نبوكدنصّر حملة شديدة ، فقتل منهم خلقاً كثيرًا وطاردهم حتى حدود بلادهم. وبانتصاره على المصريين ، تسلّط على جميع سورية ، فسلم لهُ يوياقيم ملك يهوذا وغيره من ملوك تلك الديار . وبينما كان زاحفاً الى مصر لافتتاحها ، اذ نعي اليه موت ابيه ، فخشية وقوع فتنة في بابل ، اسرع في الرجوع بطريق الصحراء ، ودخل بابل فجأة ؛ وكان الكهنة قابضين على زمام الشؤون ؛ فجلس على سرير الملك ، واستتبّت لهُ الامور ، وقضى نبوكدنصّر فترة طويلة متمتعاً بالرغد والهناء . على ان ملك مصر كان لا يزال حانقاً ، لما لبسه من العار بظفر البابليين به . فصمّم النيّة على الاخذ بثأره. ولم يألُ جهداً على مثال سلفائه ، في ان يحالف ملوك سورية . فاحتال وحمل يوياقيم ملك يهوذا ، على خلع الطاعة للبابليين . فلمّا بلغ الخبر نبوكدنصّر ، صعد الى اورشليم. فاستولى الرعب على يوياقيم فاذعن لهُ ؛ الّا انهُ لم يقم ان عاد فتمرّد . فارسل عليه حينئذٍ قوّادًا بفرقهم ، حاصروا اورشليم . وفي تلك الاثناء توفي يوياقيم فملك بعده ابنه يوياكين ثلاثة اشهر لا غيرها ، لان ملك بابل افتتح

اورشليم عنوة ، واغتصب كل ما في بيت الرب ، وبيت الملك ، من الكنوز، وكسر اوعية الذهب ، التي كان قد صنعها سليمان ، واستأسر جميع الصناع من اليهود ، ونقلهم الى بلاده ، ليشتغلوا فيها . والقى القبض على يوياكين وامه ، وفسانه ، وسباقهم الى بابل ؛ وكان في جملة الاسرى دانيال النبي ورفاقه سنة ٥٩٧

وهذا نبوكدنصّر الثاني الشهير في الكتاب العزيز ، ولاسيما في سفر دانيال وهو الذي حارب المصريين وقهرهم وفتح كل سورية . وقد غضب على اليهود غضباً شديداً لعنادهم وعدم تسليمهم ، مع ما كان النبي ارميا يبذله لهم من النصح . ولذا حاصر الملك البابلي اورشليم ثانية ، ودخلها قوّاده . فانهزم الملك صدقيا ، لكن البابليين لحقوا في اثره فادركوه في سهل اريحا ، واتوا به الى نبوكدنصّر ، فعاملهُ اقسى معاملة لحقته عليه . فقد امر بقتل ذويه بحضرته ، وبفقأ عينيه ، وتكبيله بالسلاسل وسيره الى بابل . واما المدينة المقدسة، فاوعز الى عساكره ، فقوّضوا اسوارها ، وانزلوا الخراب والدمار في بيوتها

بعد هذا كله ، اذ كان نبوكدنصّر قد طعن في السنّ ، صرف جزيل عنايته الى اتمام الابنية الفخمة الجبارية التي اشتهر بها كثيراً . فان بابل كانت قبل خراب نينوى قد دمّرت مرّتين على يد اشور بنيال وسنحاريب . ولذا فكل ما قد بقي في موقع بابل حتى اليوم من الاثار ليس هو الّا تمّا قد شيّده واقامه هذا الملك الكبير نبوكدنصّر الثاني في زمن الدولة البابلية الثانية . وتمّا ساعد الملك البابلي على تأسيس هذه المباني العظيمة الاسرى الكثيرون الذين اتى بهم من اشور ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وبلاد العرب

فاعاد الى بابل رونقها وجمالها الاول . ومن خواص موقع بابل ان نهر الفرات كان يخرقها كما تخرق اليوم دجلة بغداد . فكانت مقسومة الى شطرين ، وفي كل شطر كان قصر فاخر ، او قصور جميلة . واما القصر الملكي فكان مشتهراً بالبساتين المعلقة المعدودة في نظر الاقدمين من جملة عجائب العالم السبع . ولا بأس ان آتي بكلمة وصف لها ، وان اضحت موضوع شك وريب عند المحققين من علماء العصر . فقد كانت هذه الجنان على هيئة سطوح واكبة بعضها

على بعض ، على شكل المدرَّج . فكانت تلوح لناظرها شبه رابية مكسوّة بالخضر ، قد علتها الروج والرياض. وكل واحد من هذه الروج كان على هيئة المربّع ، وكان يرقى من الواحدة الى الاخرى بسلّم ، وهي كلها كانت قائمة على اعمدة ومفروشة بالحجارة ، وفوق الحجارة شيء وافر من الحُمَر يعلوه الاجرّ . وعلى كل هذه الطبقات قد مُدَّت صفائح من الرصاص لمنع المياه من النفوذ في داخل البناء ، وعلى الرصاص طبقة ثخينة من التراب ، وفيه كانت تغرس الاشجار . والعمد كانت مجوَّفة وفي احدها آلات لرفع الماء من الفرات تسقى به تلك الجنان.

اما مدينة بابل في ذاك الزمان فكانت محوطة باسوار شاهقة مبنية باللبن الملحم بالقار المغلي ، وفي الاسوار عشرات من الابواب ، وعلى قمتها صفّان من البروج وتحتها خنادق . وكان فوق الفرات الجاري في وسط المدينة جسر عظيم يصل الجانبين ، وطرق المدينة وشوارعها كانت على احسن ما يرام من النظام والهندسة . وشهرة نبوكدنصّر كانت فضلاً عن مآثره الكثيرة ، باقتدائه بمن سبقه من الملوك العظام في تشييد الهياكل والقصور العديدة الفاخرة ، وحفر الانهر والبحيرات ، لحصر المياه فيها إبّان الفيضان . وكانت وفاة هذا المليك العظيم سنة ٥٦٢ ، وبقي على سرير الملك ٤٣ سنة.

ومن بعده اصبحت بابل ميداناً للفتن والقلاقل ، لكثرة ما نشأ فيها من الاحزاب ، فكان ذلك مدعاة الانحطاط ، وجلب البوار عليها وآل الى ذهاب الملك منها على يد كورش ملك فارس ، في زمن آخر ملوكها نبونهيد وابنه بالطشاصر . وكان انبياء اسرائيل قد تنبأوا على سقوط بابل . وهذا ما جاء في سفر ارميا النبي بصددها قال : « هكذا يقول الرب : هانذا أثير على بابل وسكانها ، ذوي القلوب المقاومة لي ، ريحاً مهلكة . وارسل الى بابل مذرّين فيذرّونها ويخلون ارضها . ان بابل كاس ذهب بيد الرب ، تسكر كل الارض ؛ من خمرها شربت الامم ؛ لذلك تدلّهت الامم . قد اقام الرب روح ملوك مادي ، وقد اضمر ان يدمّرها . ايتها الساكنة على المياه الغزيرة ، الكثيرة الكنوز ، قد وافت عاقبتكِ ، وحدُّ سُحتِكِ . انصبوا الراية في الارض ، وانفخوا بالبوق في الامم . نادوا عليها ممالكَ ارارط ، ومنّي ، واشكناز . تتزلزل الارض

وترتعد ، لان افكار الرب تقوم على بابل لتجعل ارض بابل مستوحشة لا ساكن فيها»

وهكذا سقطت بابل المدينة الشهيرة ، وكان سقوطها عظيماً ، ولم تقم من كبوتها هذه ، ولم يعد لها سلطان وملك البتة ، في ما عتب من القرون ، بل تلاشت رويداً رويداً الى ان اصبحت ، كما جاء وصفها اعلاه ، تلولاً وخرائب ينعق فيها الغراب ، ويأوي اليها البوم . الّا انّ تلك الخرائب تدلنا على ما كان عليه سلفاؤنا البابليون ، اهل العراق الاقدمون ، وما حصلوا عليه من القدرة والسلطان العظيم وهي اوضح دليل على ان الامر بيد مدبّر الاكوان يهب الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . عسى عراقنا العزيز ، في زمن هذه النهضة العصرية ، يعود الى مجده القديم الاثيل ، وعسى الشرق اجمع يسير سيراً حثيثاً في سبيل التقدّم والفلاح . وفّق الله رجال الاوطان الغُيُر الى كل ما فيه خير البلاد ، وجلب العمران ، انه السميع المجيب !

نشأة
الديانة المسيحية في لبنان

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في بيروت

حضرة الخوري بطرس غالب

٣

اما الرؤساء الكنسيون ورؤساء الاديار المجاورة لهذه المناسك فاستغربوا سيرتهم وتولاهم شيء من القلق لدن مشاهدتهم هذا التفنّن في التقشف وشظف العيش امّا لقلّة تعوّدهم هذا النوع من التوبة والتكفير امّا لمخالفته تماماً لافكارهم العاجزة ولذا عُقد مجمع في انطاكية للنظر في امر هؤلاء النساك وربما كان الغرض من ذلك عزلهم وترئيسهم . — اقول هذا ايها السادة ليكون لنا عذر يوم نحكم ان القداسة لن تكون قداسة الّا اذا جاءت مطابقة لتصوراتنا القاصرة — غير ان الله الذي كان قد اوحى الى هؤلاء التوّابين العظام ان يفضلوا تلك الحياة الشاقة الغريبة ، لم يكن ليغضي عنهم طرف عنايته فكان ان اجتاع الاساقفة